سوى لتطلّعهم الى الحرية وتجرّؤهم على تحدّي الاحتلال. نتحدث باسمهم ونقول: اطلقوا سراحهم.

وفي الوقت الذي نخاطبكم فيه، يئن من الألم عشرات الألوف من الجرحى والمعوقين، فليشف السلام جراحهم. وفي الوقت الذي نخاطبكم فيه، تلازمنا، وتلاحقنا، عيون الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين منذ العام ١٩٤٨، ومن المشرّدين منذ العام ١٩٦٧، ومن المبعدين، فليس أقسى من مصير الابعاد والنفي. أعيدوهم الى الوطن؛ فحق العودة حق لهم. وفي الوقت الذي نتحدث اليكم، فان صمت البيوت المهدومة يتردّد صداه عبر ارجاء القاعات وفي أذهاننا؛ فلنُعد بناء بيوتنا في دولتنا الحرة. ماذا نقول لأحباء الشهداء الذين صرعهم رصاص جيش الاحتلال؟ وبماذا نجيب عن تلك الاسئلة وذلك الخوف في عيون أطفالنا؟ وأي لحن وداع نعزفه للاشجار التي اقتلعتها جرّافات الجيش المحتل؟ وفوق كل ذلك من يقدر ان يفسّر رسالة السلام لأولئك الذين صودرت أراضيهم؟ ازيلوا الاسلاك الشائكة وأعيدوا المياه التي تمنحنا الحياة.

يجب ايقاف الاستيطان الآن. فمن المستحيل اطلاق عملية السلام في الوقت الذي تتمّ مصادرة الارض الفلسطينية بوسائل وأساليب لا حصر لها، وفي الوقت الذي تحدّد جرّافات الاحتلال الاسرائيلي والاسلاك الشائكة، يومياً، وضع، ومصير، الاراضي الفلسطينية المحتلة. وهذا ليس عبارة عن موقف، بل هو حقيقة لا يمكن نفيها. ان مبدأ «الارض مقابل السلام» يصبح مهزلة عندما يكون الاستيلاء غير القانوني على الاراضي هو السياسة الرسمية الاسرائيلية، قولاً وممارسة.

باسم الشعب الفلسطيني نودّ مخاطبة الشعب الاسرائيلي الذي عانينا وإيّاه، دهراً، من الألم. نحن على استعداد لأن نعيش جنباً الى جنب، نقتسم الارض والوعد بالمستقبل. غير ان التقاسم يستدعي أن يكون الشريكان على استعداد للاقتسام كأنداد؛ فالتبادلية والمعاملة بالمثل ينبغي ان تحل محلّ السيطرة والعداء، وذلك من اجل المصالحة الحقة، والتعايش في ظل الشرعية الدولية. ان أمنكم وأمننا يعتمد كل منهما على الآخر، ويرتبطان، معاً، كارتباط مخاوف وكوابيس أطفالنا.

لقد خبرنا البعض منكم في السرّاء والضرّاء. فالمحتل لا يستطيع اخفاء أسرار عمّن يحتلهم. ونحن شهود على الثمن الباهظ الذي انتزعه الاحتلال منكم ومنّا. لقد رأيناكم وانتم مهمومون لتحوّل أبنائكم وبناتكم الى مجرّد أدوات للاحتلال الاعمى والعنيف. ونحن على ثقة بأنه لم يخطر ببالكم، ولم تتصوّروا، أبداً، مثل هذا الدور لأطفالكم، الذين اعتقدتم بأنهم سيشكّلون معالم مستقبلكم. لقد رأيناكم تستعيدون، بأسى عميق، مأساة ماضيكم، فننظر برعب الى التشويه الذي صيّر الضحية جلاداً.

ليس من أجل هذا ترعرعت آمالكم واحلامكم وأولادكم. ولهذا السبب بالذات نتوجّه بالتقدير الصادق الى الذين قدّموا منكم العزاء لثكلانا، والذين آزروا من هدمت منازلهم من أبناء شعبنا، والذين منحوا التشجيع وقدّموا النصح القانوني الى المعتقلين خلف الأسلاك الشائكة وقضبان الحديد.

وقد خرجنا في مسيرات معاً، وأصابنا الغاز المسيل للدموع بالاختناق؛ الغاز الذي لا يعرف التمييز. كما صرخنا ألماً من الهراوات التي انهالت على أجساد الفلسطينيين والاسرائيليين سواء بسواء؛ فالألم لا يعرف الحدود القومية، وليس بمقدور احد ان يدّعي باحتكار المعاناة.

لقد شكّلنا، ذات يوم، سلسلة بشرية حول مدينة القدس، حيث تشابكت أيدينا وأنشدنا للسلام. فدعونا نشكّل، اليوم، سلسلة معنوية حول مدريد، ونواصل سعينا النبيل من أجل تحقيق السلام ووعد الحرية لأبنائنا وأبنائكم. فلتخترقوا حواجز التشكيك والخوف. لننظر الى أمام بسعة أفق وأمل.

ولأخواتنا وأخوتنا العرب، الذين يمثّل أغلبهم في هذه المناسبة التاريخية، نعبّر عن انتمائنا كما نعبّر عن عرفاننا لدعمكم المتواصل وتضامنكم معنا. نحن، الآن، هنا، من أجل سلام عادل ودائم، تكون فيه الحرية لفلسطين، والعدالة للفلسطينيين، وانهاء الاحتلال الاسرائيلي للأراضي الفلسطينية والعربية كافة، بمثابة الحجر الأساس. وعندها، فقط، سنتمكّن من جني ثمار السلام، ازدهاراً، وأماناً، وكرامة، وحرية، للانسان.

كما نتوجّه، بشكل خاص، الى زملائنا الاردنيين في وفدنا المشترك. ان كلاً من التاريخ والجغرافيا يربطان ما بين شعبينا برباط خاص. معاً سنكافح من أجل تحقيق السلام. وسنواصل كفاحنا من أجل حقنا في السيادة في ذات الوقت الذي نمضي بحرية وملء